اكسير الحياة
رواية عن الحب الابدي
منى عريبي

إهداء..

إليك أُهدي ما ائتمنتني عليه وتحملت المشاق للوصول إليه، إليك اهدي ما علمتني إياه خلال رحلة الغوص في تجارب الحياة من اجل اكتشاف ذاتي والبحث عن هويتي... إليك اهدي إكسير الحياة.

مقدمة...

اضع بين يديك هذا الكتاب يا عزيزي القارئ وانا كلي يقين انه سياخذك الى عالم اخر يقبع خلف خيالك الواسع... ستتارجح فيه بين الالم والقسوة تارة وستتنقل بين الحب والعاطفة تارة اخرى، ستشهد ملحمة تاريخية بين حروب نشبت بين مختلف البلدان وستغترف من اكسير الامل والوفاء جرعة بجرعة حتى تصل الى ذروة الصفاء والنقاوة... فقط اغلق عينيك ولكن ابقي ذهنك مفتوح.

الفصل الأول..

رواية عن الألم

أوشكت شمس الشتاء على الغروب تتحرك ببطء شديد في افق مائل مودعة قرى عين أم الرخاء الساحرة التي حلّ عليها ظلام الليل بعد هنيهة بأطياف الهدوء و الوحدة يكسوها اللون الأسود تتأرجح في الهواء عن اليمين تارة وعن الشمائل تارة أخرى في صمت مريب يكاد لا يُسمع لوهلة من الزمن بين ازقة الشوارع الموحشة التي لا تُحوي في جعبتها سوى الكلاب الضالة المشردة قد فتك الجوع بها واخذ الألم نصيبه منها، تختلس النظر عبر نوافد احدى البيوت القصديرية المفتوحة على مصرعيها تتلذذ برائحة الطعام الذي يفتح الشهية للاكل وتراقب هرج الاطفال الصغار وهم في انتظار نضوجه واللُّعاب يسيل من شفاههم.. كان المشهد نفسه يتكرر معهم عدة مرات في كل بيت يمرون عليه حتى توقفوا للحظة عند تلك النافدة التي يصرخ زجاجها باصوات الالم والحزن لكوخ صغير يقبع في اخر القرية يتكأ على شجرة التين يكاد يسقط من أعلاه الى أسفله لولا تلك الأغصان المتينة، ما أثار فضول تلك الأطياف هو نحيب انثوي رقيق لملاك سماوي في هيئة بشرية لم تخرج من العقد الثاني بعد تجلس قرب مدفأة صغيرة تكاد السنة نيرانها تنطفأ بسبب الرياح العاتية التي تحوم في الوسط ومع ذلك استطاعت ان تقيها برودة ليالي ديسمبر القاسية التي جمّدت الدم في عروقها،تمسكُ كتابا بين يديها يحكي عن اساطير من وحي الخيال وكان يا ما كان وسالف العصر والآوان، تتكلم مع حالها عن ما آل به الدهر عليها بصوت تشوبه انغام القهر والحسرة على ما فات، بعدما كانت تنعم بالدفئ والحنان في احضان اسرة تُؤيها امست وحيدة لا أحد يسأل عنها ولا عن احوالها واختفت تلك اليد الحنونة التي كانت تداعب شعرها كل ليلة قبل النوم بعد سرد قصة جميلة أبطالها من عالم آخر، اطلقت تنهيدة عميقة بين نفسها وزفرت بحنق تتساقط الدموع على وجنتيها كسيْل واد لا تُعرف له نهاية ورفعت رأسها للاعلى تنظر الى الفراغ المظلم الذي ترى نفسها سجينة فيه خلف قضبان العجز واليأس لا تقوى على المضي خطوة واحدة الى الامام، ما شّد إنتباه أحد الأطياف هو تلك اللّمعة الساحرة في

عينيها والتي تحكي عن قمة الكآبة التي إنزوتْ داخلها وابت مغادرتها بعدما اعتادت المكوث فيها منذ سنين خلت، قامت تلك الملاك من مكانها تجر اطرافها بصعوبة بالغة تلف نفسها بوشاح قطني بسبب الصقيع الذي ما انفك عنها منذ دخول فصل الشتاء وتوجهت الى صورة صغيرة كانت مرمية على الارض عند قدم الطاولة، حملتها بين ايديها والدموع مزالت متراكمة في مقلتيها تعيد شريط ذكرياتها مع من كانوا السند والعون لها تنظر الى اهلها وفلذة كبدها اللذين غادروها فجاة ودون اي سابق انذار بعدما اختطفهم شبح الموت منها إثر حادث سيارة اليم في ليلة عاصفة ثلجية،امسكت بطرف قمصيها وراحت تُزيل الغبار عن الصورة تعود ادراجها حيث كانت تجلس قبل قليل تمرر اناملها الرقيقة على ملامح امها التي شعرت للحظة بهمساتها تدب على مسامع اذنيها، اغلقت عينيها برهة زمنية قصيرة لترى نفسها في جنان خضراء تمتد على مساحاتها الواسعة مختلف انواع الزهور والرياحين العبقة تفوح منهم روائح عطرة بعبير العاطفة تأسر القلوب، يمتص النحل من رحيقها وتنط فوقهم الفراشات الملونة التي اذا حطت احداهن على زهرة من الزهور لا تفرق بينها وبين الفراشة، كانت السماء صافية فوق راسها تتربع في افقها الشمس الذهبية قد اطلقت العنان لاشعتها لتنير المكان من ظلمات الليل الساكن، راحت تركض فيها بكل سعادة وفرح لا تصدق للذي تراه امام عينيها غير مكترثة بكيف ومتى اتت الى هنا او حتى ما سبب قدومها لهذه الارض السحرية، لم تبلث كثيرا في تلك الجنة حتى لمحت اطياف غريبة تحلق في الفضاء الواسع وتنظر نحوها بابتسامة عذبة كعذوبة الكوثر الرقراق، دققت النظر فيهم هنيهة ودقات قلبها تكاد تخترق قفصها الصدري ولاسيما انها تبدو مألوفة بالنسة لها،اقتربت احد الاطياف منها تنادي عليها بصوت رقيق كأنه موسيقى ناي هادئة ووضعت يدها على كتفها تطلب منها ان تتبعها الى ذلك المكان الذي في انتظار قدومها منذ مدة ليست بالقصيرة، سارت الشابة برفقة تلك الاطياف لا تفقه من الامر اي شيء تقنع نفسها انها تحلم فقط وسينتهي هذا المنام الجميل بسرعة ما ان تفتح عينيها لكن عبث وكأنها تحت قِوى مغناطيسية لا تسمح لها بالمغادرة والعودة الى سجن الالم الذي ضمّها اليه بقوة رافضا ان يتركها بحال سبيلها، بعد مسير دام دقائق معدودة توقفت تلك الكيانات عن التحليق والتفتت بعدها نحو الشابة تخبرها انها في المكان المنشود الان، امعنت النظر حولها مطولا لكن لا شيء امامها سوى الظلام الذي يحوطها من كل حدب وصوب، تملكها خوف كبير وصارت تسأل نفسها عن اضمحلال الجنة التي كانت فيها لتوها وكيف اختفت الورود والعصافير من على مرأى عينيها وغابت اشعة السمش وانجلت بنورها ليحل الظلام من كل جانب، صارت تصرخ وتصرخ على امها وابيها وأخيها الأصغر لكن لا احد يجيبها سوى صدى صوتها المنبثق من الاعلى والاسفل بطريقة غريبة تبث الرعب في النفس، ظلت على حالها تصرخ وتصرخ وتذرف دموعا التي صارت ممزوجة بقطرات الدم مما زاد الامر من خوفها اكثر واكثر وباتت التساؤلات حول ما يحدث معها تتزاحم في راسها لا تدري اين تفر هربا من المجهول الذي في انتظارها او كيف لها ان تعود الى بيتها مرة اخرى، تلك اللحظة لمحت كيانا غريبا ضحم البنية بشع للغاية لا يمكن النظر اليه ابدا، اقترب منها وهو يرمقها بنظرات الاسى والحزن وكأنه بالرغم من مظهره المرعب مشفق على حالها، قالت له بصوت شبه خافت من هول الصدمة: ماذا تكون انت ؟؟ اجابها بنبرة غليظة اهتزت لها الارض : ا لم تعرفيني حقا ؟؟ انا ضميرك الذي تخليت عنه عندما دفنت نفسك داخل تلك الكومة من الالم والاحزان، انا هو انت التي تناسيتها بسبب ما حلّ باهلك، بعدما كنت في صورة حسنة امسيت وحش عملاق بشع المنظر بسببك انت ... لم تكن تستوعب شيئا من الذي تسمعه وكيف لضمير انسان ان يصبح هكذا بسبب افعال صاحبه، لكنها ادركت ان القوقعة التي دخلت

فيها جرّاء حزنها على موت اهلها قد جعلتها تفقد الكثير من طاقتها وضاع ما بقي من عمرها هباءا منثورا، اغلقت عينيها بإحكام وفتحتهما مجددا لتجد نفسها فوق الكرسي بجانب المدفاة والهواء الذي تسلل من الخارج عبر النافدة المفتوحة يداعب شعرها الاسود المجعد، اعادت الصورة مكانها في دفتر يومياتها وهي تتذكر ذلك الحلم الغريب الذي جعلها تفكر في قرارة نفسها عما تنوي القيام به بخصوص حياتها القادمة.

***

رواية عن القسوة

سار في أزقة شوراع المدينة الجديدة غداة يوم صبي يافع هزيل الجسم وشاحب الوجه والعينين لم يبلغ الحِلم بعد يرتدي ثياب بالية رثة لا تقيه حرارة الصيف ولا برودة الشتاء القاسية يحمل قارورة صغيرة بين يديه ويغني بصوت يشوبه الحزن واليأس لا يرى امامه من خلفه ولا أسفله من أعلاه، ثم رفع رأسه نحو السماء العالية التي برزت فيها خيوط اشعة الشمس الذهبية مصحوبة بقطرات الندى الصباحية التي انعشت نفسه الخاملة وراح يصرخ باصوات

الحقد والكراهية وينادي بكل ما اوتي من قوة : أين أنتم يا سكان المدينة اللذين تدّعون حب الخير ومساعدة الفقراء والمحتاجين ؟؟ ... أين أنتم يا سكان المدينة اللذين تتكلمون عن الطيبة والوفاء كل مرة تجلسون فيها في المقاهي والاماكن العامة ؟؟ ها أنا أمامكم صبي قد مزقته الآلام إربا إربا وقامت برمي أشلائه بعيدا حيث لا أمل له للنجاة والخروج من سجن الحياة التعيسة التي رجوتكم مرارا وتكرارا كي تسحبوني من قعرها لكن لا احد فيكم قد تكرَّم وانقذني من غياهب بئر الاحزان... أين أنتم يا سكان المدينة اللذين تتسِمون بالرُّوح الإنسانية وتنبذون القسوة والظلم؟؟ ها أنا ذا أقف على أعتاب منازلكم أُنادي واستغيث من مرارة الدنيا التي سرقتموها مني غدرا وعنوة وقمتم بإستغلال ضعفي ووحدتي لعدم وجود سند لي في حياتي هذه بدل ان تقوموا بايوائي اليكم وتقديم يد العون لي وانا لا حول لا قوة الا بالله، اللعنة عليكم فقط يا بني البشر كم انتم منافقين وتفعلون عكس ما تقولون... ا هذا هو حبكم للخير ومساعدة المحتاجين ؟؟ وأنا أُناجي كل ليلة وكل نهار بسبب عدم وجود رفاث خبز اسُّدُ به حاجتي واملأ به بطني الذي فتك الجوع به بينما انتم تملئون بطونكم بكل ما لذَّ و طاب من المؤكولات الشهية والأصناف المتعددة من اللحم والخضر والحلويات اللذيذة، ينعم اولادكم بالدفئ والحنان ويستمتعون بالرفاهية والأمان... ولكن ماذا عني أنا ؟ من الذي سيشتري لي تلك الملابس الدافئة ويطهو لي الطعام اللذيذ ؟ ا لهذه الدرجة انتم عميان ام أن أفئدتكم غلفة لا ضمير ولا وجدان ؟... اللعنة عليكم جميعا يا القاسية قلوبكم ويا منعدمة ضمائركم، سيأتي يوم واسترد فيه حقي منكم وعندها لن أرحمكم ابدا كما لم ترحموني انتم اليوم لقد رفعت قضيتي الآن الى السماء حيث هناك العدالة الالهية التي لن يضيع فيها حق اي كان من البشر او من الكائنات الاخرى، و عندها ستسود وجوهكم التي تناست فيه ذلك الغلام الذي لجأ اليها وعاد خائبا مكسور الخاطر وانا اعدكم بهذا ايها الظالمون.

بعد ان انهى ندائه وصرخاته الموجعة التي لو القاها على حجر لصار رفاتا بسبب المعاناة التي يمر بها هذا الولد المسكين والتي لم يرأف احد لحاله ولم يبالي به ذوات الاموال الطائلة وكأنه شفاف لا يُرى امام ناظريهم كل عشية وضحاها، ارتشف ما بقي من قارورة الخمر التي وجدها امامه صدفة وهو يبحث عن قوت يومه كي يُسكت تلك العصافير التي تزقزق في معدته على مدار الساعة من غير دراية بها وراح يتلذذ بمذاقها ويقوم بحركان غريبة تنم على انعدام العقل تماما يجلس تحت نافدة احد العمارات يضحك ويغني على حالته التي يرثى لها تارة ويبكي بشدة ويصرخ تارة اخرى حتى إنتفض مذعورا على كمية المياة التي هطلت عليه من العدم ظنا منه ان الامطار قد استجابت لندائه وفُتحت له ابواب السماء في ظل فصل الصيف والحرارة الشديدة لكن خاب ظنه عندما نظر الى الأعلى ليجدها امراة يظهر عليها الكبر والوهن قد شارفت على الخروج من العقد الخامس من عمرها القت عليه دلوا من الماء بسبب الضجة التي قام بها للمرة الرابعة على التوالي كل يوم قبل شروق الشمس وصاحت فيه بقسوة قد اجفلت قلبه الصغير المثقل بالألم : إذهب وإستغث بعيدا أيُّها الحثالة.

***

رواية عن العاطفة

على ضوء القمر الساطع الذي يتربع في وسط السماء الحالكة ظلمة من اي نور اخر القى بجسده الثقيل كثقل الجبال فوق العشب الاخضر ذو الرائحة العطرة يتأمل النجوم البراقة التي تسبح في الفضاء الفسيح بتسلسل منتظم وتحوم حول الكوكب الفضي لتضفي عليه سحرا فوق سحره الآخاد، اقبل نحوه عليل من نسمات هواء لامسيات سبتمبر الدافئة تداعب جفونه بلطف ونعومة تعود بذاكرته الى الماضي عند تلك الايام والليالي الخوالي التي قضاها برفقة نصفه الآخر وزنبقة قلبه التي راحت ضحية استغلال مادي من طرف ابيها الاناني تاركة اياه وحيدا يصارع مشقة الحياة بمفرده لا تنفك ابتساماتها وحركاتها الطفولية عنه كل دقيقة وكل ثانية، لم يستسلم في بادي الامر وشجّعها مليا على الفرار من انياب القدر القاسي الذي زج بها في احضان زوج لا يعرف الرحمة ابدا ولا يهمه شيء شوى اشباع حاجته الجنسية، لكنها لم تكن بذلك القِدر الكافي من الامل والقوة لتترك كل شيء وراءها وتمسك بيدي حبيبها والعيش معه في عاطفة الحب والحنان بعيدا عن الماديات والاشياء المصطنعة، وبسبب جبنها من المجهول خوفها من كلام الناس الذي لا يُسمن ولا يغني من حوع تخلت عن حياتها ودفنت جميع مشاعرها في قلبها مودعة اياه في ليلة باردة قبل ان تدلف الى ذلك الجحيم الذي فتح دراعيه على مصرعيهما من اجل استقبالها.

تحركت سحابة خريف رمادية لتحجب نور البدر الساطع عنه فصار المكان من حوله ظلام دامس لا ترى العين المجردة اي شيء بسببه، لم يكن الامر بالنسبة اليه يفرق كثيرا فحياته قد صارت اسوأ بكثير منذ ان اقتلعت زنبقته قلبه من قفصه الصدري واخذته معها حيث الحجيم التي ذهبت اليه ومن يومها لم يعد يبالي بأي شيء وكأنه نصف انسان ميت قد دفن وهو على قيد الحياة، جال في ذهنه للحظات ان يقوم باخر رجاء معها ويأخدها واياه بعيدا عن هنا لكن قوى خفية كانت تمنعه عن الاقدام بهذه الفعلة الشنيعة ولا سيما ان هذا يخالف مبادئ دينه الاسلامي الذي ينهى عن المنكر والفحشاء، وبالرغم ما قد حل به الا انه كان يجد صعوبة بالغة في اقناع نفسه ان تلك الريحانة لم تعد ملكه الان بعدما كان اقترانه بها امرا محسوما منه وورارد الحدوث كما اتفق مع ابيها من قبل ان ينطق المال ويقلب دوامة القدر لصالحه، اطلق تنهيدة عميقة تنُم عن ضيقة الخاطر وراح يغني بصوت حزين قد شق البحر وابكى الحجر

وعصف باوراق الشجر حتى انتفض مذعورا على اصوات همس قادمة من الخلف قد جعلت قلبه يخفق بشدة ظنا منه ان سارقا ما سيحيط به ارضا، بلع ريقه بصعوبة والتفت الى الوراء ينادي.. من هناك ؟؟ ، لكن لا احد اجاب عليه وقد ظل يكرر ندائه عن الشخص المجهول الذي اقبل ناحيته بخطوات بطيئة لا تكاد تُسمع ابدا، حتى حالفه الحظ في توقيت الغيمة التي سبق وحجبت عنه ضوء القمر لتتحرك مرة اخرى تاركة اياه فاتحا فاه على ما يراه امام عينيه الان بعدما كشفت تلك الاشعة الفضية عن الشخص المجهول الذي زاره هذه الليلة بعد غياب دام خمسة اشهر، لم ينبس ببنت شفة ولم يقوى على الكلام ابدا وكأن لسانه شُل عن الحركة تماما، اقترب منها رويدا رويدا يتمعنها بعينيه اللازوردية من الاعلى والى الاسفل حتى صار قبالتها ولا يفصلهما سوى بضع سنتيمترات، لا زالت كما هي ولم تتغير ابدا بالنسبة اليه، تلك الشامة اسفل عينيها العسلية وحاجبها المرسوم ربانيا، شفاها الكرزية التي امتزجت بظلمة الليل وانفها المشدود الى الاعلى وكأنه انف دمية صغيرة وجميع هذه التفاصيل الصغيرة كان الوحيد الذي يراها فيها ويهتم اليها.

تشجع اخيرا ونطق بالكلام ناحها عن سبب قدومها الى هنا في هذه الساعة المتأخرة من الليل ولا سيما انها امراة متزوحة الان و حت سلطة رجل ولا تستطيع ترك البيت كلما خطر على بالها، لم يتلقى منها جوابا بل لاذت بالصمت و هي مطاطاة الرأس تتكأ على جدع شجرة لا تعلم من اين تبدأ بالحديث الذي خاطرت بحياتها واتت من اجل قوله، اغمضت عينيها وايتسمت ناحيته كما اعتادت من قبل وقالت و هي تذرف قطرات الدموع لم تتمكن من كبحها داخل مقلتيها : ساترك المدينة غدا مع زوجي وسنسافر الى قارة اخرى وربما لن اعود الى تراب الوطن مجددا... نزلت كلاماتها عليه كالصاعقة لكنه تمالك نفسه وظل محافظا على رباطة جأشه كي لا يفقد اتزانه امامها، قال لها وهو ينظر الى عينيها بثبات : اتمنى لك التوفيق والسداد في حياتك على امل اللقاء مرة ثانية... قال جملته ثم لاذ بالرحيل بعيدا تاركا اياها وسط احزانها وهي التي كانت تنتظر منه شيء اخر قد يخرجها من فوضى افكارها، فهي تجهل انه لن يقوم بذلك الشيء هو يعلم انها في ذمة رجل اخر ولن يتسبب لها بالمعاناة اكثر مما هي فيه فقرر المغادرة بصمت دون ان يضيف شيئا اخر على الذي قاله لها.

وفي تلك الليلة قد مات اخر بصيص امل له في اجتماعه بها وقتل العاطفة في قلبه وهو يتوعد انه لن يعيشها مرة اخرى مهما كلفه الثمن.

***

رواية عن الأمل

فتحت عينيها الزمردية الفاقع لونها ببطئ شديد تحاول استعادة ما حدث معها خلال الاربعة وعشرين ساعة الاخيرة التي اودت بها الى هذه الحالة، ممددة على سرير ابيض موصولة باجهزة الانعاش التي تبقيها على قيد الحياة رغم الذي حلّ بها، ادارت رأسها يمينا وشمالا تتفحص المكان الذي هي فيه غير مكترثة للالم الذي تشعر به في شتى اطراف جسدها من قدمها اليسرى الملفوفة بالجبس ودراعها الايمن ورقبتها، تلك اللحظة دلف عليها الطبيب المسؤول عن عمليتها برفقة مساعدته يسألها عن حالها ويقوم بفحص روتيني لها يتأكد من سلامتها من اي مضاعفات ثانوية بعد العملية، حرك اصبع سبابته يمينا ويسارا وطلب منها ان تراقبه ثم سالها بضع اسئلة قبل ان يتمنى لها الشفاء ويغادر الغرفة تاركا اياها وسط فوضى افكارها التي كانت تتسابق في راسها كسباق سيارات فورميلا وان تحاول تذكر اي شيء قد حدث معها ومن تكون هي في الاصل والى ماذا تنتمي، بعد جهد وعناء يُذكر يأست من المحاولة مما علا الاحباط والحزن على ملامح وجهها الطفولية وراحت تغلق عينيها مجددا تعود الى النوم لعل وعسى ترجع اليها ذاكرتها التي خانتها هي ايضا كما خانها القدر من قبل، لم تلبث كثيرا حتى فُتح الباب مرة اخرى على اصوات مزعجة قد ايقظتها بفزع هي في غِنى عنه موجهة نظرها نحو الاخير لترى سيدة في الاربعين من العمر بيضاء البشرة تتخللها بعض التجاعيد نظرا للتقدم في العمر وشاب حنطي البشرة طويل القامة يرتدي لباس الشرطة الرسمي ويحمل فتاة صغيرة بين يديه تناهز من العمر اربع سنوات، تقدمت تلك السيدة منها تنده عليها بإسم النرجس العبق لم تعقله الشابة ثم اخدتها اليها بالاحضان تحمد الله الذي اعادها اليها سالمة من ذلك الحادث المؤلم الذي تعرضت له امس جرّاء قيادتها السيارة، كان يبدو من خلال تصرفات تلك المراة انها قريبة جدا من المريضة واحتمال ان تكون والدتها لكن الفتاة ظلت تنظر اليها ببلاهة لا تعرف اي شيء عنها او حتى عن الشاب الذي اتى معها، انتاب السيدة بعض القلق بعدما لم تتلفى اي ردة فعل من ابنتها والتفتت نحو الشاب تستفسر منه عن السبب حيث لم يكن هو اقل استغرابا منها، وضع الفتاة التي كان يحملها بين دراعيه وركض بسرعة ينادي على الطبيب الذي اتى مهرولا بعد دقائق معدودة يخبرهم ان المريضة تعاني من فقدان ذاكرة مؤقت نتيجة للصدمة التي تعرضت لها من طرف الحادث او ربما يرجح الامر لعدة ضغوطات نفسية اخرى قد عاشتها مؤخرا قبله وهذه الحالات واردة الحدوث، بعد ان انهى الطبيب كلامه تمنى الشفاء مرة اخرى وغادر المكان تاركا كل من الام والزوج والابنة في حالة حزن شديد على ربيع قلوبهم وزهرة النرجس خاصتهم يجهلون كيفية التصرف في هذه الحالة والاخرى تراهم بعين الغرابة ولا تستطيع ان تعقل اي واحد منهم، لم

تتقبل الصغيرة الفكرة وبرود امها ناحيتها وقد ركضت اليها تنادي وتصرخ... ماما... ماما، اشتقت كثيرا اليك !

لكن حتى ذلك الصوت الرقيق وكأنه لحن من الحان موسيقى البيانو او الكمان لم يؤثر فيها ولا في ذاكرتها اذ كان منها ان قامت بردعها بلطافة تطلب من الشاب الذي يقف قبالتها والذي يدّعي انه زوجها بان يبعد الصغيرة عنها ويتركانها وشأنها تصارع مشقة الحياة التي انتزعت منها اغلى ما تملك وجرّدتها من كل شيء واولهم هويتها التي بها تستطيع مجابهة العالم اجمع، غاصت وحيدة في عالم اخر تتسائل بين نفسها عن ماهيتها وكيف كانت عليه قبل الحادث لكن جل ما تتذكره هو الفراغ فقط الذي يحيط بها من كل جانب، هي لا تتذكر التي انجبتها والتي هي بدورها ولدتها، لا زوجها التي عاشت معه ادق التفاصيل حلوها ومرها ولا حتى محيطها الذي كانت تعيش فيه، اختفى الامل وتلاشى من امام ناظريها محلقا بعيدا عنها دون ان يأبه بيأسها وقلة حيلتها في مجابهة ما يحدث معها، لم تغادرها نظرات امها المليئة بالالم ولا لمسات زوجها الحنونة وهو يربت على خصلات شعرها الاشقر المموج يعدها بكلمات حنونة ممزوجة بالود والعطف ان كل شيء سيكون على ما يرام، والذي ارهقها اكثر واكثر هو صدها لنداء فلذة كبدها المشتاقة لها بكل حب وبراءة، شهقت بقوة و سارعت نبضات قلبها بسبب الحزن الذي سيطر على كيانها مما ادى بها الى دخولها في حالة صدمة قد كادت ان تقضي عليها لولا لطف الله وحفظه لها... خيّم الحزن عليها مجددا بعدما استعادت كامل عافيتها وفقدت الامل في تذكرها لماضيها وكل شيء يتعلق بها اذ صارت غريبة بين احضان عائلتها، باتت تعيش حالات صراع مستمرة وكوابيس مرعبة كل ليلة وهي وسط اناس ترى نفسها انها لا تمتها بهم اي صلة قرابة، حتى اتى ذلك اليوم الذي تالق فيه الامل وارتقى مثل طير الحمام محلقا في وسط قلبها الذي مزقته الهموم والالام وبرزت خيوط النور الذهبية في اخر النفق المظلم الذي كانت تمشي فيه بلا مبالاة لتريها شريط ذكرياتها في تسلسل منتظم وكأنها تشاهد فيلما او سلسلة من عدة اجزاء، بعدما يأست من الامر واستسلمت للامر الواقع منزوية في غرفة مظلمة اقبلت نحوها يد من العدم وقامت بمساعدتها على تخطي هذه المحنة التي تعيشها بكل حب واحتواء، كان وقوف زوجها بجانبها هو ما اعاد اليها الامل في الحياة مرة اخرى وشجّعها من جديد على المضي الى الامام والسعي الى تحقيق احلامها بكل ايمان وثقة كبيرة في الله، لم يتخلى عنها ولا عن طموحاتها بالعكس كان هو مصدر الهامها الذي استمدت منه القوة لمواصلة دربها اين ما توقفت فيه اخر مرة، هي لم تؤمن بطائر الحظ والامنيات يوما لكن اصرار نصفها الاخر بذلك جعلها تعيد النظر في هذا الشيء.

***

رواية عن الحب

جلست على احد كراسي الكافيتريا في شارع الشانزليه افخم وارقى شارع في باريس برمتها فتاة في ريعان الشباب قد شارفت على خروجها من العقد الاول تنظر بعينيها الكبيرتين الكستنائية الى الراجل والمرتجل سارحة بخيالها في خلق الله من ذاك الذي يحمل مطارية بين يديه يحتمي من الامطار التي تتساقط بغزارة يسارع في خطواته الى باب سيارته وذلك الذي ترجل من دراجته لتوه كي يقابل حبيبته التي سئمت من ملل الانتظار تحت عامود كهرباء والمطر قد اخد نصيبه منها، ظلت برهة زمنية و هي شاردة الذهن في تلك الاخيرة التي ما ان انهت عتابها لحبيبها حتى طبعت قبلة حارة علي جبينه مصحوبة بعناق طويل يحكي عن قمة الاشتياق والولع الذي عانت منه فترة لا باس بها من الزمن، تنهدت الشابة بعمق وزفرت بحنق تتذكر حالها ايضا عندما تعرفت على اول شخص قد قرع طبول عقلها ودلف قلبها دون استئذان منها في اول محاضرة من اول يوم لها في الجامعة، كادت ان تغوص في ذكرياتها وتتعمق اكثر واكثر لكن ايقظها صوت النادل وهو يسألها عن طلبها الذي كان عبارة عن كوب من النيسكافيه الساخنة كما اعتادت، غادرها بعد ان اومأ رأسه بالموافقة بابتسامة خفيفة قد ارتسمت على شفتيه تاركا اياها في عالم اخر غير الذي هي فيه الان، ازاحت بظهرها تتكأ على الكرسي وراحت تخرج ورقة و قلم الرصاص تخط حروفا ذهبية بانامل مرتجفة لا احد يعلم ان كان من البرد او من التوتر او من شيء اخر غامض، لمح النادل الذي ما انفك عن مراقبتها منذ جلوسها قبل ربع ساعة تلك اللمعة في عينيها وهي تتوقف في وسط الصفحة عن الكتابة وتمرر اصبع سبابتها على رموشها السوداء كسواد الليل الكثيفة غير عابئة باي شخص حولها لم تنتبه حتى مع النادل الذي وضع امامها عدة مناديل ورقية الا بعد هنيهة من الزمن بعدما عاد اليها مجددا بطلبها، انهت شرب قهوتها المسائية التي زجت فيها الروح قليلا وايقظت فيها احاسيس شتوية تناستها منذ غابر الأزمان، نظرت امامها قبل ان تعود في كتابة تلك الخواطر المملوءة بشتى اللحظات الجميلة عكسها لتلمح ذلك الكيان الآسر وهو يجلس قبالتها ويبتسم ناحيتها ببراءة تخطف الانفاس قد جعلت قلبها الصغير يكاد يخترق قفصها الصدري، لوت شفاهها في دهشة واستغراب و هي لا تصدق ان كان ما تراه حقيقة ام خيال فهو الان يجلس مقابلا لها وكأنه في اول موعد لهما قبل خمس سنوات عندما عرض

عليها الخروج مصحوبا بإلحاحه الشديد عليها كي توافق وتمنحه تلك الفرصة التي دفعتها الثمن غاليا لاحقا، ضربت على وجنتيها براحة يدها لتتأكد انها لا تحلم وانه فعلا بجانبها لكن الصورة لم تختفي واضحة تماما امامها، اخد منها تلك الورقة بحركة بسيطة وراح يقرأ كل سطر فيها بدقة وإمعان ثم اشر على النادل ان يحضر له فنجانا من الشاي الساخن لتدفئة عظامه التي نال منها الصقيع وهي تنظر اليه ببلاهة غير مستوعبة للذي تعيشه الان، استأذنت منه لتذهب الى الحمام تنعش نفسها بالماء قليلا كي تهضم الموقف الذي عاشته منذ هنيهة زمنية رفعت رأسها نحو المرآة فلم تجد نفسها انتابها الهلع وركضت مسرعة الى الكافيتيريا فلم تجده ايضا، التفتت الى النادل لتسأله عنه لكنها فوجئت بإختفائه ايضا، لا احد في هذا المكان هي ليست موجودة ما عدا تلك الورقة فوق الطاولة بها عبارة بالبنط العريض ... الحب غاية يسعى الجميع اليها وسبيل تحقيقها يختلف من شخص لآخر حسب اختلاف اهدافهم .

***

رواية عن الحنين

في إحدى الأمسيات الشتوية الجميلة التي تتخللها بعض من نسمات هواء عليلة تحي القلب وتنعش النفس التي نال منها الحزن ومزقها إلى أشلاء كل جزء منها مرمي في اللامكان؛ سرت بخطوات متثاقلة لا أرى أي شيء أمامي ضائعة في عتمة هذا العالم الذي حاربني من كل حدب وصوب ولم يرحم ضعفي وقلة حيلتي إلى بيت جدي القابع في منطقة جبلية تنحدر من ولاية تيزي وزو حيث هناك الدفء والطمأنينة التي ابحث عنها منذ سنوات عديدة خلت.. كان الظلام دامسا جدا يحيط بي من شتى الاتجاهات وأصوات السكون تنبع من

الأعلى والأسفل مصحوبة بهزيز الرياح القوية جعلت نوافذ بعض البيوت المهترئة ترتطم ببعضها البعض مخلفة دوي مرعب في الوسط. بعد أن وصلت إلى وجهتي المنشودة حيث كان آذان العشاء آنذاك قد ملا الأرجاء بذلك الصوت الشجي الذي يذيب الفؤاد وينقلك إلى عالم الروحانية فتشعر نفسك قد ولدت من جديد؛ لمحت جدي بالقرب من الباب الرئيسي للبيت يتكأ على عكازه الخشبي البني إذ ما يزال محافظا على تباته ووقاره وكأنه في ريعان الكهولة وليس الشيخوخة، تقدمت منه بخطى بطيئة وشريط من الذكريات قد مر من أمام عيناي يعيدني إلى الوراء حيث ذلك الزمن الجميل الذي كنت آتي فيه إلى هنا برفقة والداي واركض بأرجل مقوسة في حقل البرتقال برفقة الأصحاب اللذين أخال أنهم قد تغيروا وربما غادروا الحي بأكمله كما فعلت أنا منذ عشرة سنوات، لم تطأ قدمي المكان جرّاء انشغالاتي الدائمة التي كانت سببا رئيسيا في معاناتي الآن...

- كيف حالك جدي قدور ؟

رفع رأسه ناحيتي وصار يتفحصني بعيون فضولية واضح جدا أنها لم تعقلني بعدما كانت لا ترى غيري في يوم من الأيام، ثم تقدم هو الأخر نحوي وقال بنبرة استفسار رافعا احد حاجبيه للأعلى...

- من أنت بنيتي ؟

تجمعت بعض العبرات في مقلتي ولم انبس ببنت شفة لا أتمكن من تقبل فكرة أن جدي الآن الذي كان لا يمضي يومه دون أن يراني أو يجمع حبات الزيتون إلا بعد أن أرافقه لا يستطيع معرفتي أو حتى تمييز صوتي، أدركت تلك اللحظة أن عصر التكنولوجيا وموت والداي بعدها قد غيراني كثيرا وجعلاني اخسر اعز إنسان على قلبي وهو على قيد الحياة، حيث انشغلت بالحياة العملية والزواج بعدها لدرجة أنني نسيت أو ربما تناسيت ذلك الشخص الذي كان هو ملاذي الآمن والوحيد .. ركضت نحوه بسرعة ارتمي إلى أحضانه الدافئة ابكي بشراهة على ما صنعته بيداي منذ سنوات عديدة لا أتمنى شيئا واحدا وهو أن أبقى هكذا بقية حياتي برفقة من يحبني بصدق ويخاف علي من مهب الريح، أخبرته أنني حفيدته زهرة التي أمضت طفولتها بين كنفه في حقل البرتقال؛ اجمع حبات الزيتون كل فصل صيف مع سالم وفرح أولاد الحي بعد إلحاح شديد على أهالينا كي يسمحوا لنا بالذهاب؛ أخبرته أنني ربيع قلبه ووردته الجورية التي كان عبيرها يفوح في كل مكان تطأ قدمها فيه، ومع ذلك لم يكن ليعقلني أبدا بل دفعني عنه بلطف وعلامات الاستغراب ما زالت تستحوذ على وجهه الذي صار مليئا بالتجاعيد والهالات السوداء التي كانت تحيط بعينيه..

- هل يعقل انك نسيتني بهذه السهولة يا جدي ؟.. أنا زهرة ربيع قلبك وياسمينتك .. أنا حفيدتك الوحيدة التي أشغلتها الحياة عنك ولم تتذكرك إلا بعد هذا الوقت عندما أدركت أن لا احد يحبها كما أحببتها أنت ولا احد سيحميها كما كنت ستحميها أنت، أرجوك حاول أن تتذكرني يا جدي لا تفعلها أنت أيضا كما فعلها الزمن بي

- أنا آسف بنيتي لكني أصبت بالزهايمر السنوات الأخيرة ولا أتذكر أي احد كان حتى نفسي.. سامحيني

نزلت كلماته علي كالصاعقة وجعلت قلبي الصغير المثقل بالألم يخفق بصورة رهيبة لا اصدق أن جدي قدور ملاذي الآمن لا يتذكرني بالفعل ولن ينادديني بوردتي الجورية كما كان يفعل من قبل ولن ازور معه حقل البرتقال الذي اشتقت إليه كثيرا ولن اجني محصول الزيتون

برفقته كما حدث في الماضي.. غادرني بعدها تاركا إياي في فوضى أفكاري غارقة في بحر الحنين الذي اجتاحني وعصف بي في جزيرة نائية خالية من أي بشر.. تلك اللحظة شعرت بالندم الشديد وتمنيت أن تعود تلك الأيام الخوالي ولن ابتعد مرة أخرى عن هذا البيت الدافئ والكنف الأسري الذي لن أتذوق طعمه مجددا، أفقت مع نفسي ودلفت إلى داخل البيت حيث وجدت جدتي هناك تغزل الصوف أمام المدفأة مع عمي الصغير بلال، ورحت أبوح لها بكل شيء حدث معي منذ عشرة سنوات وحتى الآن أتوسل إليها إن تسامحني على هجراني لهم لعل وعسى استعيد جدي مرة أخرى.

***

رواية عن الكبرياء

جلس على قارعة الطريق رجل كهل لم يخرج من العقد الرابع بعد تتخلل بعض من خصلات شعره الأسود أطياف بيضاء تنُمُ عن عمره الذي يوحي على انه فوق الخمسين سنة، يرتدي ثياب رثة بالية ممزقة من كل جانب تقع عليه عين الذاهب والآتي يمد يده للمارة وقلبه يناجي ويعتصر من الألم الذي حاوطه من كل جهات بسبب ثِقل الشيء الذي يقوم به رغما عنه كي يُسكت عصافير بطون فلذة أكباده من الزقزقة بسبب الجوع والفقر المدقع الذي يعيشون فيه منذ نعومة اظفارهم، ترى في عينيه البنية كبن القهوة نظرة انكسار وخذلان من الحياة التي ادارت ظهرها له تاركة إياه وسط فوضى عارمة من القهر تجتاحه من كل حدب و صوب، تقدمتْ نحوه سيدة شابة في الخامسة والثلاثين من عمرها مظهرها يوحي بالثراء الفاحش والفخامة ترتدي فستان زهري يصل أسفل قدميها فوقه جاكيت اسود من الجلد تحمل في يدها حقيبة يدوية صغيرة وردية أخرجت منها بضع أوراق نقدية ووضعتها أمامه بكل استحقار لا تبالي بمشاعر الذي يجلس قبالتها و كأنها تقوم بعرض مسرحي أمام الناس، لم ينبس معها الرجل ببنت شفة بل اكتفى بالصمت وقد اغرورقت عيناه بقطرات من الدموع على الموقف المرير الذي ينحط فيه للمرة الألف ... بعد أن غادرت تلك السيدة تاركة روحه تتمزق من الألم والحسرة رفع رأسه إلى السماء و صار ينادي و يستغيث من الحي الذي لا يموت ولا يغفل عن عباده يطلب منه العون كي يكف عن التسول الذي بعثر كرامته ومسح بكبريائه الأرض، لم يعد يقوى من الآن وصاعدا على أن يمد يده أكثر للناس حيث بلغ السيل الزبى معه ولم يعد بمقدوره مواصلة هذا الدرب الذي اجبره القدر على السير فيه؛ كما انه ليس معاق لا ذهنيا ولا جسديا وبإمكانه أن يجد عملا شريفا بالحلال يطعم به أطفاله الصغار ويرفع به وجهه أمام من احتقروه وأشعروه بالذل والهوان، تراءى له وهو على تلك الوضعية يجلس القرفصاء بجانب حاوية من القمامة وجه صغيرته المدللة التي كان استقبالها له عند عودته إلى البيت كل مساء بلسما شافيا لجراحه خصوصا عندما تداعب بيديها الناعمة كالقطن وجهه الخشن الذي أخد الدهر نصيبه منه، وصارت ترتسم على شفتيه البنفسجية من شدة البرد ابتسامة عفوية تحمل معاني كثيرة وأفكار ستقلب حياته رأسا على عقب. وقف مكانه بكل حماس يستعيد رباطة جأشه يجمع ما بقي له من كبريائه وكرامته مغادرا المكان نحو الأفق البعيد حيث هناك سيفتح صفحة بيضاء ناصعة بعيدا عن مد يده للراجل والمرتجل، لم يكن يفكر بأي شيء لحظتها إلا أولاده اللذين سيعانون كثيرا مستقبلا كون أن والدهم متسول وقد كانت وظيفة عامل نظافة بالنسبة له أهون وارحم بكثير من مد يده للناس دون تعب أو عناء؛ أخيرا قد اقتنع أن الحياة الكريمة تكمن في بذل مجهود كبير كي نشعر بلذتها وان المال من عرق الجبين فيه بركة من الله سبحانه وتعالى أي كان ذلك العمل.. وحتما سيرفع أولاده رؤوسهم فخرا واعتزازا كون أن والدهم رجل شريف يكسب لقمة عيشه بالحلال وعكس ذلك لن يشعروا بالذل والاحتقار لان الأرزاق بيد الله تعالى يبسطها على من يشاء من عباده، ربما ليس البشر جميعم من يفكرون هكذا فمنهم من يتكبر على النعم ولا يرضى إلا بالكثير الأكثر وحسب لكنه ينسى أن القناعة كنز لا يفنى وان أهل الجنة هم الفقراء معظمهم، هناك من يتعلم من أخطائه ودروسه ويحارب الظروف لأجل عيش حياة كريمة تخلو من الماديات وهناك من يبقى مصرا على رأيه حتى يفوت الآوان.

***

رواية عن الطموح

أنهت آخر كلمة من كتابة روايتها الأولى التي أخذت منها كل وقتها وانشغالاتها لمدة عامين أو أكثر بعدما عقدت العزم على أن تحطم الرقم القياسي في الشعر والأدب وتحتل المكانة الأولى دوليا ككاتبة روائية ناجحة من صنف الخيال العلمي، فمنذ نعومة أظفارها وهي تعيش في عالم الكتب والروايات ولم يكن يمضي يوم واحد عليها دون أن تترك أثرا جميلا في مدونتها التي هي حافظة أسرارها وذكرياتها؛ وبالرغم من أنها لم تتلقى الدعم من عائلتها التي رأت أن ما تفعله هو مجرد خربشات فتاة مراهقة إلا أنها أقسمت على أن تنال مرادها وتبلغ ذات يوم ما تريد وما تشاء ولن تكف عن حلمها الذي غزى عقلها وفؤادها في آن واحد.
أسندت رأسها على كرسي مكتبها تنظر من نافذة الغرفة تتأمل السماء الزرقاء الصافية التي تنقل الهدوء والاسترخاء؛ سارحة في تلك الغيمة التي تتحرك ببطء تأخذ شكل امرأة شابة تضم طفلها إلى صدرها بكل حب وحنان أو ربما هُيِّئ إليها وحسب نظرا لفقدانها هي إلى ذلك العطف والمودة بسبب نرجسية والدها ولامبالاة أمها وربما لهذا السبب التجأت إلى الكتابة وغاصت في عالم الأدب هربا من الواقع الأليم الذي قيّدها بقوة رافضا أن يتركها في حال سبيلها، وفقط كي تنسى أوجاعها قليلا صنعت لها عالما ورديا جميلا هادئ خال من الحزن.

للحظة اجتاحتها موجة لا تضاهي من الحنين وسافرت بذكرياتها إلى ذلك الشخص الذي كان سببا في كونها الآن تطمح لان تكون روائية وشاعرة؛ الوحيد الذي رأى الموهبة تنادي من عينيها وشجعها على الخطى في الدرب الذي سيجعل منها نجمة تلمع في سماء فنون التعبير والتثقف والتواصل... تجمعت بعض من قطرات الدموع في عينيها العسلية وهي تعيد صورة ذلك الغريب الذي كان مختلفا عن غيره في علاقته معها إذ غادرها تاركا بحوزتها هدف تسعى للوصول إليه بشتى الطرق وبالرغم من الجراحات التي تسبب لها بها إلا أنها لم تكرهه يوما من الأيام بالعكس كلما تذكرت قمة التغيير الذي حصل معها منذ أن عرفته فإنها تحمد الله على تلك الصدفة الجميلة التي جمعتهما يوما من الأيام. وقفت مكانها تحمل نسخة من روايتها عازمة في قرارة نفسها أن تبدأ في جعل الحلم حقيقة وقد أخذت الإذن من والدتها وغادرت البيت تسير بخطى واثقة تماما أنَّ كل شيء سيكون بخير، كانت تتمنى في سرها أن يكون بجانبها يمسك بيدها ويشاركها فرحتها التي له نصيب كبير منها لكنها أيضا كانت تدرك أن القدر الذي فرقهما لن يستطيع أن يلم شملها به مرة ثانية فقد حدث وان غادرها رحلة ذهاب بلا عودة ولا يمكن أن يعود مجددا بعد صار في قارة أخرى... مجرد التفكير في الأمر جعل قلبها الصغير يصرخ وينادي باسمه بلوعة واشتياق لكن الواقع الذي لا تستطيع فرض ذاتها عليه لن يصف بجانبها كلما أرادت ذلك. وصلت إلى أخيرا وجهتها المنشودة وقابلت مدير دار النشر الذي ستضع روايتها الأولى أمانة بين يديه لكن ما إن وقعت عيناها على وجهه حتى كانت المفاجأة كبيرة؛ هو بشحمه ولحمه يجلس فوق كرسي اسود من الجلد خلف مكتب واسع عليه حاسوب محمول وبعض الأوراق مرمية بعشوائية يتكلم في هاتفه الخلوي... ظلت متسمرة مكانها ترمقه بنظرات عتاب ولوم على عدم إخبارها انه عاد إلى تراب الوطن لكنها أيضا لا تستطيع مواجهته بها فهو قد اختار طريقه منذ زمن ولم يعد لديها الحق لتحاسبه؛ ابتسم هو الآخر معها كعادته بعد أن تخطى صدمته برؤيتها ثم اشر لها بيده اليمنى أن تجلس كي يرى في أمر مجيئها حيث أخذتهما الأحاديث الطويلة إلى بقاع أخرى بعيدة كل البعد عن ما هما عليه.

***

رواية عن السلام

بعد أن هدأت تلك العاصفة الثلجية التي أجفلت قلبها المثقل بالألم والانتظار استسلمت للنوم أخيرا بعد تفكير عميق وقلق كبير قد حام حول رأسها من أول الليل وحتى بزوغ الفجر، تُمسك بين يديها صورة صغيرة لشاب ثلاثيني حنطي البشرة ذو جبهة عريضة وأنف مسطح مرشوق نظراته تشبه إلى حد كبير نظرات الصقر.. بعد هُنيهة من الزمن بين الحلم واليقظة انتفضت على صوت طفيف قادم من الخارج حيث التفتت ناحية الباب في شوق ولوعة متلهفة لسماع صوت طرقاته التي لطالما انتظرتها منذ شهور خلت، بسرعة قامت من مكانها وفي عينيها بريق يخفي فرحا وسعادة تتجه ناحية الباب، أدارت المقبض الى جهة اليمين لتنطلق منها بعدها صرخة مدوية تصم الآذان على ما تراه الآن امام عينيها، ببدلة الجيش العسكري التي لم يقم بنزعها منذ بداية انخراطه في هذا المجال، كانت الدماء تتساقط من ذراعه الايسر مثل زخات المطر شاحب الوجه وعلى عينيه يبدو التعب لم تكاد تنبس معه ببنت شفة حتى سقط على الأرض ناحها مغشيا عليه ليتركها في حالة فوضى وضياع لا تفقه من الامر أي شيء ضربات قلبها تُسمع على بُعد الاف الكيلوميترات من شدة خوفها على فقدانه وهي لا تملك غيره في هذه الدنيا بعد الله سبحانه و تعالى.

حاولت ان تسحبه الى الاريكة بكل ما اوتيت من قوة تدعو في سرِّها ان لا يصيبه اي مكروه، وبعد ان نجحت في الامر ركضت مسرعة الى المطبخ واحضرت وعاء ماء بارد ومنشفة وراحت تداوي له جرحه بتلك اليدين الصغيرتين اللتين كانتا ترتجفان من الخوف والتوتر، بعد ان نجحت باستخراج تلك الرصاصة كما تعلمت في تلك الدورات التدريبية قامت بتضميد الجرح بواسطة الاسعافات الاولية التي لديها وراحت تطبطب على رأسه بحنية مخاطبة اياه بصوت مبحوح يكاد ينعدم : ا رايت يا حبيبي ؟؟ لقد حدث ما كنت اخشاه دائما وعدت اليّ بقميص ملطخ بالدماء، هل تظن ان الأمر سينتهي هنا وحسب ؟ كلا لن ينتهي وسابقى على اعصابي دائما في انتظار تلك اللحظة التي اسمع فيها انك انتقلت الى رحمة الله، لقد كان هذا الزي هو حلمك منذ الطفولة ولطالما تمنيت ارتدائه لكنك لا تعلم ان من يومها لم اعش لحظة سلام واحدة بين خوفي من موتك او اصابتك من طرف الارهابيين، ما ان تغادر هذا البيت وانت تبتسم لي ابتسامتك العذبة كعذوبة مياه نهر النيل حتى يغادر معك الامان والطمأنينة ولا ارى بعدك شيء سوى الحروب والدمار اللتين صارتا من اعز صديقاتي في احلامي وفي يقظتي، اتمنى ان يعيدك السلام لي يوما ما بعدما اخدك هذا الزي مني ولا يبعدك عني مرة أخرى

صدقني لحظتها ستكون الدنيا عيد بالنسبة لي ولن يسعني هذا العالم من شدة الفرح والسعادة، انتفضت تلك اللحظة على صوته وهو يشهق بصورة غريبة وكأنه يقوم بتوديعها هذه المرة والى الابد، صارت تصارخ عليه باعلى صوتها ترجوه ان يفتح عينيه لكن من دون فائدة حتى افاقت مع نفسها تنادي بإسمه تتصبب من العرق لتجده عند رأسها يربتُ عليها ويقوم بتهدئتها آخذا إياها بالاحضان يطمئنها ان كل شيء سيكون بخير، اما هي فقد اغمضت عينيها من جديد وابتسمت باريحية تردد بين شفتيها : لقد كان مجرد كابوس مخيف فقط.

***

رواية عن الغدر

رأيته ذات صباح وانا انظر من نافدة الغرفة في الافق البعيد؛ طفل حافي دون حذاء يمشي محاذاة الرصيف يضم ذراعيه الى صدره يلتفت الى اليمين تارة والى الشمال تارة اخرى، ترى في عينيه نظرة الحزن والالم التي تحكي عن اقسى انواع الغدر الذي يمكن ان يمر به المرء ويعيشه الا وهو غدر الزمن، فعلى عكس ان تتعرض لغدر صديق وانت شاب بالغ تستطيع مجابهة الامر او احد الاقارب تتالم فترة معينة بعدها تنسى ما حدث ولا يبقى منه الا الذكريات التي تزورك بين آن و آن، فغدر الزمن لا يمكن نسيانه ابدا على مر السنين والاعوام فهو كالابرة تقوم بوخزك كل مرة بينما انت لا تبالي بشيء حولك مثل ذاك الطفل الذي فتح عينيه وحيدا في هذه الحياة لا يفقه من الامر اي شيء مجيئه كان خطأ وتهور من احد العاشقين، فهي قد صدقت ان من سلمت له نفسها سيحميها ويحتويها دائما وابدا لكن هذا في عالم خيالها وحسب لان الواقع شيء اخر تماما يختلف كل الاختلاف عن الاحلام، وماذا كانت النتيجة بعدها ؟؟ انجبت الطفل وقامت برميه في سلة المهملات كما ترمي احد اشيائها

القديمة دون رحمة او شفقة ولا تأنيب ضمير، ليكبر ذلك الصغير الذي لا حول له ولا قوة به الا بالله العلي العظيم وحيد في هذا العالم القاسي الذي لا يرحم يبحث عن حنان الام والاب في شتى بقاع الاض.

بعد ان تعب من المشي جلس تحت احد المنازل التي يصل صوت ضحكات اهلها من الصغار والكبار الى اخر الشارع وراح يستمع الى تلك الاصوات وقلبه يعتصر من شدة الالم.. ما شدني الى النظر اليه هو تلك اللمعة التي في عينيه والتي تخفي وراءها فيض كبير من الاحزان على لعبة القدر معه، لم استطيع المكوث مكاني اكثر ووجدت نفسي اركض بسرعة اسابق الريح الى ذلك الصبي امد اليه يد العون وانا ارجو ان يبادلني نفس الشيء رفع رأسه نحوي باستغراب وحيرة وعلامات الاستفهام تحلق فوقه عن السبب الذي جعل هذه الشابة تطوق الى نجدته !! اما انا فما كان مني الا ان اخذته الى احضان بيتي واعطيته نصيبه من السعادة التي حُرم منها لسنوات... احتويته بكل حب وحنان وعاهدت نفسي ان ابقى بجانبه قدر المستطاع، فإذا كانت الحياة ليست عادلة فالله الذي ارسلني الى ذلك الصغير عادل سبحانه وتعالى.

بعد ان شرب كأس الحليب الساخن غط في نوم عميق الى عالم الاحلام يضع رأسه على ركبتي، ترتسم على شفتيه ابتسامة غاية في البراءة لا شك وانها كانت الاولى بالنسبة اليه.

***

رواية عن النرجسية

اين هي روح الطفولة التي كانت تغطي وجهكِ بوشاح البراءة يا حواء ؟ اين هي تلك الابتسامة العفوية التي كانت ترتسم على شفتيك القرمزية تنحني امامها حوريات السعادة

والحب اجلالا وتمجيدا لك، لماذا اختفت فجاة ودون سابق انذار ليحل مكانها حب الذات والانانية وتزول العفة عنكِ وتنجلي روح النقاء من على قلبك الذي كان يوما ما ملكا على عرش الحشمة والستر، هل استطاع الجنس الآخر ان يجردك من القيم والمبادئ التي كانت رمزا طاهرا وجزءا لا يتجزأ منكِ ؟؟ ام ان المال الذي صار اغلب البشر يعبدونه بشتى جوارحهم من طغى على تواضعك وغيّر من طباعك، هل كان الامر بهذه البساطة ان تُمسي من ملاك سماوي في هيئة بشرية الى شيطان نرجسي لا يعرف شيئا اسمه تانيب الضمير والوجدان ؟؟... لا لم يكن الامر بهذه السهولة ابدا ان اتحول من نقطة الى نقطة بين ليلة وضحاها ولكن ما تسمينهم انتِ بالبشر قد قاموا باستغلالي على نحو خاطئ لانني اتسم بالعفة والطهارة، قد قاموا بصفعي كلما سنحت لهم الفرصة بذلك لانني سككت على حقي ولم ادافع عنه بسبب عجزي وقلة حيلتي، لم يرحمني بني جنسي لانني ملاك في هيئة بشرية فما كان مني الا ان اغدو ابليسا نرجسيا لا يعرف الرحمة حتى احصل على مرادي ولا احد يتعدى على اشيائي، اجل ليس سهلا علي ولم ولن يكون سهلا ابدا لكن ان تتعرض للاستغلال لاجل مصالح غيرك على حسابك انت هو امر شنيع البتة و انا لم تعد لدي المقدرة على التحمل، لقد بلغ السيل الزبى معي وادركت ان في هذا العالم لا يرحمون من هو وفي بوفاء الكلب ويحترمون المنافق والمخادع الذي يتسم بصفات المكر والخبث كالذئب اثناء حصوله على فريسته، ربما الطريق الذي اخترته ليس جيدا ولن تكون نهايته مرضية لكن على الاقل اضمن انه لن يستغلني احد فيه لقضاء حاجاته ولن يتجرأ اي بشري في الاستيلاء على اغراضي.

انه لمن المؤسف ان يغدو الطيب شريرا لانه لم يرضى على نفسه الذل والهوان والسيء يتم احترامه في كل مكان وزمان لانه اسكت افواه جميع الخلق من خلال قناع البراءة الذي يخفي به وجهه الحقيقي وهو وجه ابليس، في هذا العالم اصبح من الضروري ان تكون وقحا ونرجسيا كي ينحني امامك السادة والكبار اما اذا كنت ذو اخلاق حميدة وحسنة فسينبذونك من حولك و تصرفون معك على عكس ما تريد وتتمنى، لن يحبونك لانك مُحب للخير ولن يتقبلونك لانك تسامح سريعا ولن يتعاطفوا معك لانك لا تحقد على احد ولا تبالي باي من حولك سيقولون عنك ما انت تخشاه ولا ترضاه على غيرك قبل نفسك هذه المعادلة التي لم يجد لها اي عالم ومخترع حل على مدار قرون، القوي يحترمونه والضعيف يلقون به في حاوية القمامة.

***

رواية عن العدل

فُتحت ابواب القاعة على مصرعيها مصدرة اصوات مزعجة انتفض على إثرها قلب تلك الشابة المسكينة التي فعلها القدر معها ولطمها على وجهها في لحظة لم تكن في الحسبان البتّه لتجد نفسها بين عشية وضحاها ضحية مجتمع شرقي لا يرحم ابدا اودع بها الى حافة الموت دون ان تتحرك له شعرة واحدة، كانت انفاسها الحارة تتقطع بين الفينة والاخرى و هي تستمع الى حكم القاضي الذي رفع الجلسة وهو يضع مطرقته الخشبية التي تتوقف عليها حياة الكثير من الناس وتحدد لهم مصيرهم المحتوم، لم تكن تؤمن بالعدل يوما بعدما نبذها مجتمعها وجرّدها من هويتها التي كانت تجسد ذاتها وشخصيتها وما عليهالان ولأنها امراة فيجب عليها ان تلعن الساعة التي وُلدت فيها كل شهر وكل يوم وكل ساعة، تلك اللحظة رفعت رأسها بشموخ موجهة عينيها الى عيني القاضي ترمقه بنظرات ثقة وكأنها لم تعد تخاف من أي شيء بعدما تم الحكم عليها بالاعدام ولجريمة هي لم ترتكبها وليس لها اي ذنب فيها وقالت كلماتها الممزوجة بالآهات لصرخة طفلة تختبئ خلف قضبان اليأس والقهر : ايها القاضي انت نطقت بالحكم بحقي دون ان تستمع الى رايي او تاخد بفكري، قد سلبتني حريتي بغض النظر عن محاولاتك للتاكد من الحقيقة، اين هو العدل برايك وانت اكبر مثال حي عنه ؟؟ اين هو العدل في بلاد يكون فيها ذنب ان تكون امراة او طفلة او صبية شابة ؟ من سينصفني اذا لم تكن انت بجانبي اليوم وقد تخلى عني الجميع بسبب ما مر على مسامعهم بحقي ولأنهم رفضوا تصديقي وتكذيب ما حدث كي لا يخسروا شرفهم الذي هو انا يا حضرة القاضي، لقد كان لي امل صغير فيك انت على الاقل بانك ستحقق العدالة وستنصف هذه المراة الشابة التي باتت ضحية قدر قد قلب حياتها رأسا على عقب لكنك خيّبت ظني مثل الجميع و خليت عني كما تخلى عني اقرب الناس اليّ فقط لانني انثى ضعيفة حاربها مجتمعها وادار ظهره لها بدل ان يدعمها ويحاسب الفاعل الحقيقي على هذا، لا تنظر نحوي بتلك النظرات المثيرة للشفقة لانني لست خائفة من الموت ولا يرهبني حكمك علي لانه ان لم اجد العدل هنا فساجده في العدالة الإلهيّة عند الله تعالى وهناك سيدفع كل شخص ثمن افعاله ويحاسب عليها ولن يُظلم اي احد، انني اعدك ايها القاضي انك لن تنسى هذا الوجه ابدا على مر السنين والعصور، لن تنسى اليوم الذي حددت فيه مصير شابة مسكينة وحكمت عليها بالموت ظلما وهي بريئة اعدك باننا سنلتقي مجددا وهناك ستجري الامور عكس ما

جرت في هذه القاعة وامام الحضور اللذين يكتمون الشهادة بالباطل، جميعكم ستدفعون الثمن على افعالكم.

اقتديت الى منصة الاعدام وهي ترتل ايات القران الكريم وقلبها يخفق بسرعة كبيرة خوفا من المجهول الذي في انتظارها، هي لا تتجنب الموت برهابها لكنها لا تتمنى ايضا ان تواري الثرى ويبقى حقها ضائعا دون ان تتبث برائتها، كانت تتمنى لو تحدث معجزة تلك اللحظة لتقلب مصيرها عكس التيار، لكن ليست كل الاحلام قابلة للتحقيق فهناك من يضيع حقه هباءا منثورا في الحياة الدنيا لتُعلن برائته في الحياة الاخرى ولاحكام الهية واسباب لا يعلمها الا الله سبحانه وتعالى.

***

رواية عن الوفاء

اسدل الليل ستاره الاسود وبرزت النجوم المتوجهة على السماء ببريق لامع يأسر القلوب تُتابع حكايات واساطير القرى النائية البعيدة عن صخب المدينة وضجة احيائها وخيّم

الهدوء المكان برداء الصمت لا تسمع فيه سوى صوت صفير الرياح الذي يداعب نوافد بعض البيوت المهترئة مخلفة بذلك اصوات موسيقية مرعبة تحكي عن وحشة القرية بعد آذان العشاء، في ذلك الوقت خلف احد بساتين البرتقال بين المروج التي تحرسها روح الغابة الخضراء وعذراء السلام سار بهيكله المهزول وقد ملأت القروح جسمه الضعيف يعرج بقدمه اليسرى الخلفية يرمق القمر المتربع على عرش الجاذبية وسط تلك النجوم التي تلمع حرة وتحوم حوله في تسلسل منتظم بعين وسمت عليها اشباح الذل وبدت فيها مظاهر القنوط واليأس في انتظار خيوط اشعة الشمس ان تلامس قلبه الذي مزقته الهموم يوم تخلى عنه افراد فصيلته بعدما كان فيما مضى قائدا مهيبا وشرسا للذئاب وها هو اليوم اضحى وحيدا يعيش في معزل عن بقية ابناء آوى الغابة، بعد ان شعر بالإعياء الشديد ولم يعد بمقدوره مواصلة الطريق اكثر واكثر خاب امله في العثور على فريسة تشبعه بعدما بلغه ان الآدميين يربون شتى الحيوانات الاليفة، وبينما هو منهمك يلتقط انفاسه عند رابية تطل على ضاحية القرية راى كلبا بدينا سمينا يتجول في المكان يلتفت عن اليمين تارة و عن الشمائل تارة اخرى حتى صادف بدوره حيوانا هزيلا قد تقدم به السن يبدو من ملامحه انه لم يشبع منذ اكثر من عام وقد حدثته نفسه ان يلقي التحية عليه ويستفسر منه عن سبب هذه الزيارة المفاجئة، اقترب منه بخطوات ثابتة ودنا يخاطبه قائلا : مساؤك سعيد يا ابن العم !، اراك هزيلا ا بك مرض ؟

اجابه الذئب : اهلا وسهلا يا ا بن عمي، لا ! لقد قل الاكل في الغابة وتقدم بي العمر على الصيد الوفير كي اسُد حاجتي كما كنت من قبل..

وراح الذئب يقص حكايته على الكلب وانه كان في ما سلف قائدا شرسا لقطيع كبير من الذئاب ولكن بعدما تقدم العمر به تجرأ احدهم وانتزع منه السلطة بعد مبارزة دامت يوما كاملا غُلب الذئب فيها.

شعر الكلب بالاسى على حاله ودعاه الى العمل معه في القرية عند سيده محدثا اياه عما يلقاه من احسان وعناية : ان سيدي يعطيني ثلاث وجبات في اليوم كما انه يلقي الي بعظام الدجاج والحمام وقد بنى لي ايضا بيتا صغيرا احتمي داخله من شدة البرد والحر معا...

لاحظ الذئب بعدما اقترب من الكلب ان شعر عنقه قد انتفى فسأله مستغربا عن الامر، فاجابه الاخر : ان سيدي يربطني طوال اليل والنهار باكمله ويطلق سراحي ساعة في المساء لاتجول قليلا... تعجب الذئب من كلامه وتسائل كيف يرضى على نفسه حياة الحبس مقابل بقايا طعام، وقال : انا لن اقبل ابدا ان ابيع حريتي مقابل ملء بطني بفضلات طعام إنسي، دعك من هذا وتعال معي الى الغابة الواسعة نشكل ثنائيا يا بن عمي نصطاد متى نشاء نتجول متى نشاء وننام متى نريد ونرغب، ان حياة العبودية ليست من شيمنا ابدا

اجابه الكلب بعدما فكر عميقا في كلمات الذئب : لا، انا لا استطيع ان اترك سيدي بمفرده وابادل احسانه علي بالخيانة نحن الكلاب نختلف عنكم انتم ابناء آوى في نقطة مهمة و هي الوفاء، حتى لو كان الثمن حبسي وعبوديتي لن اتخلى عن مبادئي ابدا

رمقه الذئب بنظرات تبعث الحيرة وولى مدبرا نحو الغابة، وهو عازم على ان يبقى حرا ما دام حيا، ومضى مودعا الكلب وهو يأمل ان يسوق الله اليه فريسة تشبه. اما الكلب فقد عاد الى بيت سيده وهو سعيد بحياته راضي بما اتاه الله من رزق.

***

رواية عن الاشتياق

ذات امسية من الامسيات من فصل الصيف الحار صباحا والهادئ ليلا قرب ضفاف الانهار واشجار الصنوبر جلستُ بعشوائية ارتمي على العشب الاخضر الذي ينعش النفس برائحته الجميلة الممزوجة مع رائحة التربة استمع الى حكاياته التي لا امَّلُ منها ولا أشبع بعد غياب طويل قد تناسيت مدته؛ نتسامر مع بعضنا البعض حول كل ما يجوب عنه الخاطر من قصص الخير والفلاح، بعدها اخذنا الحديث تارة عن النجوم التي تلمع في الفضاء الفسيح وتارة اخرى عن الطبيعة والجبال حيث ترعرعنا انا هو في القرى الريفية النائية البعيدة كل البعد عن التكنولوجيا وصخب احياء المدن، تلك اللحظة مر من فوقنا شهاب احمر مائل الى القرمزي بسرعة خاطفة جعلني انتفض مكاني في حماس التفتُ ناحيته قائلة : هل رأيته يا حبيبي ؟

نظر نحوي وابتسم بعفوية كما عهدته دائما واومأ براسه ايجابا يكتفى بالصمت ويربتُ على شعري الاملس بيده الحنونة التي انقضى معها كل شيء سيء قد مررت به فترة غيابه عني بأكملها، قلت له : عليك ان تتمنى امنية يا عزيزي كما تمنيت انا الان لانه هناك اسطورة قد سبق واخبرتني عنها جدتي رحمها الله عندما كنت صغيرة ان للشهب سحر خاص في تحقيق الامنيات اذا كانت تنبع من قلب صادق ونقي، اعلم انك ستقول لي انها مجرد خرافة لا اكثر لكن ما يبقينا على قيد الحياة هو هذا الامل واليقين التام بأن كل شيء سيغدو جميلا، اليس كذلك ؟؟

واصل هو في مداعبة شعري من دون ان ينبس ببنت شفة يستمع الى احاديثي بكل جوارحه وهو كله آذان صاغية معي وهذا ما جعلني اشعر بالراحة والسعادة في وجود شخص لا يتجاهل كلامي السخيف ولا يأخدني على محمل الاستهزاء كما يفعل معي اغلب الناس.. سكتتُ قليلا عن الكلام واخرجت من جيب معطفي زهرة زرقاء جميلة ورحت احدثته عنها وانا اريه اياها مع ابتسامة بريئة قد ارتسمت على شفاهي القرمزية : هل تذكر ذلك اليوم الذي اهديتني فيه زهرة اللوتس هذه ؟ عندها قلت لي انك تشبينها الى حد كبير لنقائها وجمالها وانها تتمتع بالقدرة على البقاء في البيئات الصعبة مثلي تماما، من يومها وانا ارعاها واعتني بها كأنها جزأ لا يتجزأ مني وخصوصا لانك شبهتني بها يا عزيزي، كما انني انشأت حديقة صغيرة امام بيتنا تحتوي على مختلف انواع الزهور من التوليب الاسود والاقحوان الذي دائما ما اسأله ان كنت ستعود الي ام لا والغريب في الامر انه كل مرة يقول لي انك ستطرق بابي مرة اخرى وبالفعل قد صدق قوله، قد عارضت امي في البداية هذه الفكرة وبإصرار بسبب حساسيتها من الزهور لكن انا بقيت مصممة على قراري في انشاء تلك الحديقة التي ذكرتني بك دائما.. تحركت سحابة صيف عابرة وبرز بعدها القمر الذي القى بضوئه عليهما ليُنار المكان من حولهما من كل حدب وصوب التفتت ناحيته فلم تجده فقامت مكانها بسرعة تنادي بإسمه في كل اتجاه وتصرخ عليه ان يعود اليها ولا يغادرها مرة اخرى حتى تذكرت تلك اللحظة انها كانت تتخيل فقط وهو لم يكن بجانبها من الاساس لقد مات بحادثة مآساوية منذ سنوات ولانها لم تتقبل الامر صارت كل امسية من امسيات الصيف تاتي الى ضفاف الانهار كما اعتادت الامر معه وتتسامر معه وكأنه موجود بالفعل ويسمع ما تقوله من دون ان يكتشف اي احد عن هذا الشيء، اعادت زهرة اللوتس في جيب معطفها وغادرت المكان تغني بصوت حزين على ما قد سلف.

***

.

رواية من وحي الخيال

بعيدا جدا عن أقطار الأرض وأديمها، عن البحار السبعة ومحيطاتها، عن الطبيعة الساحرة وجبالها هناك في الأعلى فوق السحاب الأبيض كبياض الثلج الناصع، مملكة خفية تتربع على عرشها المنحوت من الزجاج الأملس الشفاف ملكة الجمال حورية الأمن والسلام تُمشطُ شعرها الذهبي بآلة خشبية قد استحت أن تمكث طويلا بين أنامل يديْها الرقيقة التي تنحني أمامهُمْ مختلف عُذارى الطبيعة بأكملها، شردتُ لوهلة من الزمن في العقد الذي يحيط بعنقها وإذا به من اللؤلؤ الخالص والياقوت إذا أطل على سكان كوكب الأرض لذهب بأبصارهم من شدة روعته وجماله، لم البثْ كثيرًا في حضرتها حتى قامت من عرشها تتقدمُ ناحيتي وكأنها تطير في الهواء تتمايلُ عن اليمين تارة وعن الشمائل تارةً أخرى مثل سمكة تسبح في الماء حتى صارت قبالتي ولا يفصلها عني سوى بضعة سنتيمترات... وقالت بصوت رقيق عذْب كعذوبة الكوثر الرقراق : ما لي أراك مسلوب العقل أيها الآدمي ؟! ما الذي يدور في ذهنك ؟. لم تكاد تُنهي كلامها حتى عادت حيث تجلس من قبل بلمح البصر لدرجة أنني لم ألحظ على سرعتها أبدا وأضافت وهي تحتسي شراب التوت القرمزي بلذة تسر الناظرين : اخبرني قليلا عن سكان أهل الأرض، سمعتُ أنكم تعيشون فوضى وحوش ثائرة لا يهُمها شيء سوى إشباع بطنها حتى وإن كان على حساب غيرها، أصبحتم تقتلون بلا سبب وتُقتلون من دون أي ذنب، تعالى صغيركم على كبيركم وساد الطمع بينكم وأعمى الحقد قلوبكم وبصيرتكم التي تنطق بها ضمائركم بالحق، لقد سمعت أنكم تحرِّمون الحلال وتحللون الحرام وتُحرِّفون الكلِم عن مواضعه، تعبدون القوي الذي يستغل نقاط ضعفكم وتحتقرون الوفي الذي يأبى الانصياع لكم... نظرتُ إليها ببلاهة أتعجبُ لعلمها بكل شيء عن ما صار عليه بنو جنسي وأهلي وعائلتي وما كسرني أكثر ولامس قلبي كسهم قد انغرس فيه بقوة هو أن كل كلامها صحيح لما آلت عليه الأوضاع على كوكبي، بقيتُ صامتا أمامها ولم انبس ببنت شفة لأنه لا يوجد ما يُقال في هذا الوضع... ابتسمتْ بسخرية لاذعة على صمتي ولم ادري بها إلا وهي قُبالتي تضع يدها البيضاء الناصعة على كتفي وكأنها تنوي الإقدام على شيء ما، وبالفعل لم يخب ظني فبعد هنيهة تغير المكان فجأة وصار كله خراب في خراب... صرخات موجعة تخترق مسامع أذني على شكل موجات القهر والأحزان ولهيبٌ من النيران يتناثر في كل مكان وكأنها حرب شرسة قد نشبت ها هنا وخلفت ورائها ضحايا ودمار، لاحظتْ العذراء استغرابي لما يحوم حولي من قذرات وأجابت على أسئلتي التي تدور في عقلي كدوران المروحة وكأنها

قرأت أفكاري، حيث قالت بلهجة تشوبها الحان الأسى : هذه نتيجة حرب أدمية نشبت في منطقة يُسمونَها القدس عاصمة فلسطين، فعلها الصهاينة في نهاية المطاف وقاموا بإبادة كل المسلمين من على الوجود، كنتُ أرى الحُزن في عينيها الحوْراء الكريستالية وهي تتفحصُ المكان بنظرات مُدْمعة.. سارت قليلا مبتعدةً عني تتجهُ نحو صبي صغير لم يبلُغ الحِلم بعد ودنت منه تمسحُ على خُصَلات شعره الأسود كسواد حبات الزيتون بعدها مررتْ أناملها على وجهه المُغطى بالرماد وراحت تُزيل عنه شظايا ما خلفته تلك الحرب وأضافت قائلة : لم أكن مخطئة في ظني بكم أيها الآدميين، وهذا الآن لا شيء مقابل ما سأُريك إياهُ بعد قليل.
وبالفعل لم البث مكاني كثيرا حتى صرنا في منطقة أخرى غريبة وسط أناس هيئتهم توحي أنهم من جماعة الصين أو اليابان بلباسهم التقليدي ورؤوسهم الصلعاء، سرتُ مع تلك العذراء في أحياء قصديرية رديئة تدل على فقر أهلها واحتياجاتهم لكل سبل العيش شارد الذهن فيهم ومُتعجب في ذات الوقت كيف يتحمل كل أولئك الصغار هذه المعاناة ؟؟ التي لم أتعرض لها أنا شخصيا ولو لمرة واحدة في حياتي كلها، كيف يتحملون العيش في مكان مقزز كهذا حيث تنتشر الأمراض بكثرة والأوبئة بسبب تلوث المياه والطعام ؟ ولم أكد أُنهي سؤالي الذي يطرح نفسه لنفسه حتى سمعنا أصوات صراخ قرب النهر لجماعة من النساء رفقة أولادهم يتعرضون لشتى أساليب التعذيب والعنف من قبل جماعة من بني جنسهم، توقفتُ أنا والحورية نُشاهد ما يحدث فاتحًا فاهي على مصرعيه لا افقه شيئا من الذي أراه بأم عيني حتى أتاني صوتها الناعم وهي تُحدثني قائلة : ما تراه الآن أيها الآدمي هي معاناة أهل بورما المسلمين من قبل جماعة من البوذيين، وذلك كله راجحٌ بعد إعلان الحكومة في بورما بأنها ستقوم بمنح بطاقة المواطنة للمسلمين الروهانجيين حيث أدرك البوذيين أن ذلك قد يؤدي إلى انتشار الإسلام بسرعة، ولهذا قاموا بوضع خطة تقضي بإحداث فوضى في صفوف المسلمين للتخلص منهم إلى الأبد حيث أنهم قتلوهم بطريقة لا يتصورها العقل لشدة بشاعتها وبرروا فعلتهم بادعائهم أن ذلك كان انتقامًا لقيام أحد المسلمين باغتصاب إحدى الفتيات، ومنذ ذلك الحين والمسلمين في بورما يعانون من التعذيب والقتل صغارا كانوا أم كبارا بسبب الدين الذي لم يرضوا أن يتخلوا عنه وحافظوا عليه كما يحافظون على ممتلكاتهم الشخصية.. ثم سكتَتْ قليلاً وهي تتفحصُ ملامح وجهي الذي لم ينفك الاستغراب عنه ولو للحظة واحدة ثم أردفتْ مجددا وهي تبتسم ناحيتي بمكر : هل نتوقفُ هنا أم تريد أن اريك المزيد أيها الآدمي ؟ .. على كل حال بقيَتْ أمامنا محطةٌ أخيرة لابد لنا من زيارتها.. كانت تلك المنطقة تنحدر من أصول أوروبية كما هو معروف عن شوارع تلك القارة التي تتخذ هندسة معمارية غاية في الأناقة والبراعة، المباني مشيدة بإتقان تصل إلى ارتفاع ستون ذراع والمقاهي تشهد حالة ازدحام شديدة من كلا الجنسين، والحدائق لا يمكن وصفها من شدة جمالها ولوعتها، تزينُ واجهتها مختلف الورود الحمراء والصفراء، فجأة ودون سابق إنذار اختفى كل هذا وذاك بسبب قذيفة أُطْلقت في الهواء قد دمرت كل شيء جميل وحسن المنظر ليعلوا الصراخ وينبثق من كل حدب وصوبْ ويسودَ الخراب المكان بصورة تبثُ الرعب في النفس، نظرتُ إلى الحورية التي كانت تقف بجانبي استنجد بها واستفسر عن الذي حدث ها هنا حيث أجابتني كعادتها وكأنها قرأت أفكاري وقالت : نحن في مدينة كييف الأوكرانية التي شنت عليها روسيا الحرب لعدة أسباب لا ادري إن كانت تستحق سفك الدماء وقتل الأرواح البريئة أم لا، بعدما كانت تنعم بالأمن والسلام أمسى شعبها يفر هربا بحثا عن الطمأنينة التي اندست في غياهب النسيان .. ألقتْ نظرة أخيرة على المكان ثم وضعت يدها على كتفي وأعادتني إلى الصرح حيث كانت تجلسُ على عرشها قبل بدْأنا للرحلة وخاطبتني مجددا : ما رأيك بالذي أريتك إياه قبل قليل أيها الآدمي؟ و ما هو تبريرك حول ما يقوم به أبناء جنسك من جرائم وتعدي على حقوق الغير؟

كان سؤالها ذاك أصعب سؤال قد مر علي منذ أول امتحان لي في المدرسة وحتى الساعة، فإن كنت أنا شخصيا اجهل سبب قيامنا نحن البشر بهذه الأفعال الشنيعة فكيف سأجيبها إذًا على سؤالها ؟... بقيتُ برهةً زمنية لا ادري ماذا أقول لها عينياي مثبتة نحو الأسفل استحي من ارفع رأسي من شدة خجلي عما يجري على الأرض التي أعيش فيها، بعدها تحليْتُ ببعض الشجاعة ونطقتُ بتلك الكلمات التي كانت ثقيلة كالحديد وقلت : و الله لا يوجد أي تبرير أيتها العذراء التزمُ حقي بالصمت.

.

.

... يتبع